بكل شيء خبير بما تعملون اي لا يخفى عليه شيء من سرائركم فانه فاضحكم لا محالة
ومجازيكم على نفاقكم ولما نبه تعالى على خداعهم واشار الى عدم الاغترار بايمانهم
امر بترغيبهم وترهيبهم مشيرا الى الاعراض عن عقوبتهم بقوله تعالى قل
اي لهم اطيعوا الله اي الذي له الكمال المطلق واطيعوا الرسول اي الذي
له الرسالة المطلقة ظاهرا وباطنا وقوله تعالى فان تولوا اي عن طاعته
بحذف احدى التائين خطاب لهم اي فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم
فانما عليه اي محمد صلى الله عليه وسلم ما حمل اي ما حمله الله تعالى
من اداء الرسالة واذا ادى فقد خرج عن عهدة التكليف وعليكم اي وانما
انتم فعليكم ما حملتم اي ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم تفعلوا
وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد
احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضرر عائد اليكم
وان تطيعوه بالاقبال على ما يامركم به تهتدوا اي الى كل خير وما على الرسول
اي من جهة غيره الا البلاغ اي وما الرسول الا ناصح وهاد وما عليه الا ان
يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ البين م
كالاداء بمعنى التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات روي
انه صلى الله عليه وسلم قال على المنبر من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير
ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر
والجماعة رحمة والفرقة عذاب وقال ابو امامة الباهلي عليكم بالسواد
الاعظم فقال رجل ما السواد الاعظم فنادى ابو امامة هذه الآية
في سورة النور فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وقوله تعالى
وعد الله اي الذي له الاحاطة بكل شيء الذين آمنوا منكم وعملوا اي تصديقا
لايمانهم الصالحات خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والامة او له ولمن معه
ومن للبيان ثم اكد غاية التاكيد بلام القسم لما عند اكثر الناس من الريب
في ذلك بقوله تعالى ليستخلفنهم في الارض اي ارض العرب والعجم بان يمد
زمانهم وينفذ احكامهم فيجعلهم متصرفين في الارض تصرف الملوك في مماليكهم
كما استخلف من قبلهم اي من الامم من بني اسرائيل وغيرهم من كل من حصلت
له مكنة وظفر على الاعدا بعد الضعف الشديد كما كتب في الزبور ان الارض
يرثها عبادي الصالحون وكما قال موسى عليه السلام ان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقرأ ابو بكر بضم التاء الفوقية وكسر
اللام والباقون بفتح التاء واللام وليمكنن لهم اي في الباطن والظاهر دينهم الذي
ارتضى لهم وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوكيده واضافته اليهم
اشارة الى رسوخ اقدامهم فيه وانه الذي لا ينسخ لما بشرهم بالتمكين اشار لهم
الى مقداره بقوله تعالى وليبدلنهم من بعد خوفهم اي الذي كانوا عليه امنا

وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما
هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه فقال رجل ما يأتي علينا
يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال صلى الله عليه لا تغبرون الا يسيرا حتى
يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة
وانجز الله تعالى وعده واظهرهم على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق
والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا
واستعبدوا ابناء القياصرة وملكوا شرقا وغربا امكنة لم تحصل قبلهم
لامة من الامم كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض فرأيت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها ولما قتلوا عثمان
رضي الله تعالى عنه وخرجوا على علي ثم ابنه الحسن نزع الله ذلك الامر كما اشير
اليه بمن وتنكير امنا وجا الخوف واستمر متطاولا ويزداد قليلا الى ان صار
في زماننا هذا الى امر عظيم وذلك تصديقا لقوله عليه افضل الصلاة
والسلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يملك الله من يشاء فتصير
ملكا ثم تصير بزيزي قطع سبيل وسفك دما واخذ الاموال بغير حقها
والثلاثون خلافة ابي بكر سنتان وخلافة عمر عشرة وخلافة عثمان اثنا
عشر وخلافة علي ستة والبزيزي بكسر البا وتشديد الزاي الاولى
والقصر السلب والتقليب وقوله قطع السبيل نصب اما عطف بيان
لقوله بزيزي او بدل منه وقرأ ابن كثير وابو بكر بسكون البا الموحدة
وتخفيف الدال والباقون بفتح الموحدة وتشديد الدال ثم اتبع ذلك
بنتيجة بقوله تعالى تعليلا للتمكين وما معه يعبدونني اي وحدي
وقوله تعالى لا يشركون بي شيئا حال من واو يعبدونني غير مشركين
فان قيل فما محل يعبدونني اجيب بانه مستانف لا محل له كان
قائلا قال ما لهم مستخلفين ويؤمنون فقال يعبدونني ويجوز
ان يكون حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم
فمحله النصب ولما كان التقدير فمن ثبت على دين الاسلام وانقاد
لاحكامه واستقام نال هذه البشرى عطف عليه قوله تعالى
ومن كفر اي ارتد وكفر هذه النعمة بعد ذلك اي بعد الوعد
او الخلافة فاولئك اي البعداء من الخير هم الفاسقون اي الخارجون
عن الدين خروجا كاملا لا يقبل معه معذرة ولا يقال لصاحبه
عثرة بل يقام عليهم الاحكام بالقتل وغيره ولا يراعى منهم ملام
ولا تؤخذ بهم رأفة عند انتقام كما تقدم اول السورة فيمن لزمه
الجلد وقيل المراد بالكفر كفران النعمة لا الكفر بالله وقوله تعالى
فاولئك هم الفاسقون اي العاصون لله وقوله تعالى واقيموا الصلاة

مخطوطات جامعة الرياض
Copyright King Saud University
Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)